بريطانية ظاهرة ومكشوفة واداة احتياطية هي ، الحركة الصهيونية · ففي جميع تصريحات واتصالات سفراء بريطانيا في القدس ودمشق وبيروت والاستانة ، والمدعومة من وزير الخارجية بالمرستون ، يصعب الحصول على تصريح واحد يخفي عطفه على (الشعب) اليهودي ·

واستنادا الى الاتفاقية التجارية البريطانية ـ التركية ، عززت بريطانيا نفوذها المالي والاقتصادي في الامبراطورية العثمانية ، حتى غدت قوة منافسةلكل من النفوذالفرنسي والالماني والروسي · واستثمرت نتائج استسلام محمد علي لتطوير نفوذها في امبراطورية الحكم الوراثي (مصر والسودان) وصولا الى احتلالهما ، بالتتابع ، وبذلك اقتربت من فلسطين حتى ملاصقة الحدود ·

وفي الوقت نفسه استخدمت مستعمرة عدن ، كمخفر استطلاع امامي لاطماعها في اليمن والجزيرة والخليج · وغدت الطريق بينها وبين الهند ، مرورا بالمتوسط ، وعبر عدن والسويس ، تحت هيمنتها المباشرة ·

المخطط البريطاني الاستعماري في خلق الحلم الصهيوني كأداة :

قبل ان يخرج ابراهيم باشا نهائيا من سوريا ، وبينما القوات البريطانية تحاصر بيروت وتحتل عكا ، كتب اللورد شافتسبوري متغنيا بـ« البسالة المقدامة لابناء وطننا» ، وداعيا الى (التحالف مع الشعب القديم وحمايته) · كما كتب بالمرستون ـ وزير الخارجية ـ رسالة الى السفير البريطاني في الاستانة ، طالبا منه مفاتحة السلطان التركي في امر تشجيع اليهود على العودة والاستيطان في فلسطين ، حتى يشكلوا « كابحا لاية مخططات شريرة يعدها محمد علي او خليفته في المستقبل » (٢١) هذه الحجة الواهية ، الخوف من محمد علي ، لم تتذرع بها جريدة التايمز اللندنية (١٧ـ٩ ـ ١٨٤٠) ، حين دعت الى مناقشة جدية لاقتراح اسكان اليهود ، فيما اسمته « وطن ابائهم » · بينما وقع ادوارد روبنسون في ما هو اكثر سذاجة، حين استعرض علاقة فرنسا بالكاثوليك وروسيا بالارثوذكس ليسأل « في شخص من تستطيع انجلترا ان تجد لها حلفاء في هذا الجزء ، وذلك من الامبراطورية التركية ؟··» (٢٢) · قاصدا الاشارة الى « اليهود » ·

حقا ان هو لنفورت عبر عن الموقف البريطاني بدقة ، حين ربط بين اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وبين الضرورة السياسية (لبريطانيا) في تأمين الطريق الرئيسي الى الهند عبر اسيا الصغرى ، في كتابه « ملاحظات حول ظروف اليهود الحاضرة في فلسطين » والصادر عام ١٨٥٢ · بينما غرق الكولونيل جولر ، حاكم جنوب استراليا، في مسوح الرهبان ، وهو يدعو في البرلمان البريطاني (٢٥ ـ ١ ـ ١٨٥٢) ، الى ان تقوم بريطانيا باصلاح سوريا ، بهمة من اسماهم « بناة اسرائيل » وذلك استجابة لدعوة (القدر) (٢٣)

هذا الفهم الكنسي يسقط فيه اميل الغوري حين عزا ما اسماه «نجاح اليهودية العالمية» في التقرب من البريطانيين واكتساب (مودتهم) الى خروج انجلترا على الكنيسة الكاثوليكية واتخاذها البروتستانتية دينا رسميا لها (٢٤) فعدا عن بؤس هذا الفكر اليميني ، فان الغوري اكثر حياء من لورنس اوليفانت ، الذي ربط ـ وبشكل صحيح ـ بين فكرة الاستيطان اليهودي وبين الحاجة الى تأمين « التغلغل البريطاني